التفسير الموضوعي؛ التأصيل والمؤمَّل

إعداد الطالبة الباحثة

حميدة الشتواني

جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية، قسم التفسير وعلوم القرآن

الأستاذ المشارك: الدكتور خالد نبوي سليمان حجاج

قسم القرآن الكريم وعلومه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية

ملخص البحث

تناول البحث بالدرس؛ أحد فروع التفسير، وهو "التفسير الموضوعي" ليقوم بمقارنة بين تعاريفه، وتقصي نشأته، قديمة هي أم جديدة؟ والبحث عن الأسباب وراء بزوغ نجمه في العقود الأخيرة؛ حيث علت الأصوات مطالبة باعتماده منهجًا بديلًا في تناول القضايا التي تعرض للمجتمع، أو تلك التي طرحها القرآن الكريم، قديمة كانت، أو استشرافية.

وعن طريق لمّ الآيات التي عرضت للموضوع، وتدبرها، وتأمل خلال سياقها، بحثًا عن الأسباب وراء ذكرها في القرآن الكريم، والتي ستفيد في فهم مجموعة من الظواهر الإنسانية أو الكونية، التي من شأن ضبطها، والتحكم فيها، تسخيرها خدمة للإنسانية، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجاثية: ١٣].

ولإبراز أهمية التفسير الموضوعي عمد البحث إلى مقارنته بالفروع الأخرى للتفسير، وإظهار الفرق بين دراسة الكلمة القرآنية والاكتفاء بتقصي مواضعها داخل القرآن، وبين الوحدة الموضوعية للسورة التي تربط القضايا التي بسطتها، وبين التفسير الموضوعي الذي ينظر في كل ما جمعه حول أطرافه وجزئياته نظرة جامعة شاملة؛ لعله يتوصل للقواعد التي تنظم موضوعه ويظفر بنظرية حولها.

إضافة إلى ما ذُكر، فالحاجة إلى التفسير الموضوعي قد فرضتها قصور التفاسير في حلتها القديمة عن تلبية حاجات الناس والمجتمع؛ رغم غناء محتواها، فإن التفسير الموضوعي بإمكانه التصدي لأي قضية طارئة، مثله مثل الاجتهاد الفقهي، فهو لا محدود المواضيع، ويتجدد بتجدد قضاياه.

Substantive Exegesis: Rooting and the Expected

Abstract

This study deals with one of the branches of exegesis, namely "substantive exegesis", then moves to make a comparison of its definitions and delves into its roots to determine whether they are old or new, and proceed to identify the reasons behind its increasing popularity over the last decades. This is because demands have grown more vocal calling for the adoption of the latter as an alternative approach in dealing with issues brought to society or other issued raised by the holy Qur'an, be it ancient or forthcoming.

And through gathering verses after studying, reflection upon and contemplating them through their context, in search of the reasons why they were mentioned in the holy Qur'an. This will contribute to understanding human or universal phenomena that can be detected, checked and used for the benefit of humanity, as God Almighty said: ﴿And He placed at your service whatever is in the heavens and whatever is on earth . . . ﴾ (Al-Jathiyah: ١٣)

In order to highlight the significance of substantive exegesis, the study seeks to compare it with other branches of exegesis and to show the contrast between the Qur'anic word and simply investigating its positions within the Qur'an; between the substantive coherence of the Surah which brings up the issues it tackles; and between substantive exegesis that looks into the overall findings about its parts and aspects, there a comprehensive, holistic view to perhaps reach the rules that regulate its object and to come up with a theory about it.

In addition to that, the necessity for substantive exegesis has been imposed by the shortcoming of old versions of exegeses that, albeit rich in content, fail to meet the needs of people and society. Therefore, substantive exegesis can deal with any urgent topic, such as jurisprudence, that is polythematic and renewable through the renewal of its topics.

المقدمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه، وآله وصحبه، ومن سار على دربهم إلى يوم لقائه.

أمَّا بعد؛ إن آخر كتب الله عز وجل المنزلة لعباده هو القرآن الكريم؛ كتاب أراده الله خاتمًا لرسالته؛ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. ووصف صحفه ربنا جل في علاه، فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة: ٢، ٣]. وقال فيه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۝٣٨﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص: ٢٩]؛ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨].

فمن أراد الهدى في الدنيا فعليه بالقرآن، ومن أراد الهدى للآخرة فعليه بالقرآن. وإنما يتأتى ذلك بالبحث عن هذه الكتب القيمة، وعن هذه الأمثال في ثناي االقرآن، والتأمل فيها وتدبرها، واستخراج الدروس والعبر منها، سواء المتصلة منها بالدنيا، أو بالآخرة.

أسباب اختيار الموضوع

ونحن في القرن الخامس عشر الهجري، ونرى المكتبات تزخر بالتفاسير، فلا يمكن إلا الإقرار بالجهود الضخمة التي بُذلت في خدمة هذا الكتاب المعجز. وهناك سؤال يفرض نفسه، بعد هذه القرون، ومع هذه المجلدات الضخام كمًّا، والعظام كُنهًا: فهل أدَّت أغراضها التربوية منها، والاجتماعية؟

فواقع الأمة الإسلامية لا يعكس صورة الإسلام الذي أراده الله تعالى أن يكون مهيمنًا على باقي الديانات. في حين نجد الثورات العلمية التي نهضت بالأمم قادها علماء من الديانات الأخرى، وأهم الصناعات التي بها تكون للأمم السيادة على غيرها، هي عند الأمم الأخرى، فهل وصلت التفاسير مداها؟ ولم يعد في المقدور قراءة كلام الله بعيون ابتكارية؟ ألم يقل شيخ الإسلام الغزالي[1]: إن القرآن فيه علم الأولين وعلم الآخرين؛ غير أن

(١) الغزالي، أبو حامد مُحَمَّد، **جواهر القرآن**، (د.م: دار الشروق، ط٤، ٢٠٠٠)، ج١، ص٢١، و٤٤-٤٧.

الواقع يدل على أن أهم العلوم لا توجد عند أهل القرآن! هذه الأسئلة كانت من بين الأسباب وراء كتابة هذا الموضوع.

منهج البحث

اتبع البحث منهجًا متنوعًا إذ يتراوح بين الوصفي، والتحليلي، والمقارن، حسب ما يتطلبه الغرض من المبحث أو المطلب.

الكلمات الدلالية

التفسير الموضوعي/ الكلمة القرآنية/ الوحدة الموضوعية للسورة.

مصطلحات البحث

التفسير الموضوعي/ التأصيل/ المؤمل. أمَّا ما يتعلق بالتعريف اللغوي والاصطلاحي للتفسير الموضوعي، فسيأتي في المبحث الثاني.

أولًا: التفسير اللغوي:

١) التأصيل لغة:

قال ابن فارس[١] رحمه الله: إن الأصل هو أساس الشيء.

٢) الأمل لغة:

قال الفراهيدي[٢] تغمده الله برحمته: الأمل: الرجاء.

ثانيًا: التعريف الاصطلاحي:

١) التأصيل في الاصطلاح:

قال الراغب الأصفهاني[٣] رحمه الله: أصل الشيء قاعدته التي لو تُوهِّمت مرتفعة

(١) ابن فارس، أبو الحسين أحمد القزويني الرازي، **مقاييس اللغة**، (د.م: دار الفكر، د. ط، ١٩٧٩)، ج١، ص١٠٩.

(٢) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، **العين**، (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت)، ج٨، ص٣٤٧.

(٣) الراغب، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (دمشق: مطبعة الثريا، د.ط، د.ت)، ج١، ص٢٣.

لارتفع بارتفاع سائره. وقال عبد المنعم محمود عبد الرحمن[١]: الأصل: ما ينبني عليه غيره، ويقابله الفرع.

٢) الأمل في الاصطلاح:

لم يتطرق الجرجاني في معجمه **"التعريفات"** إلى معنى الأمل في الاصطلاح. كذا الراغب في **"المفردات"**.

ثالثًا: تعريف المركب "التفسير الموضوعي بين التأصيل والمؤمل":

المقصود بالتفسير الموضوعي بين التأصيل والمؤمل، هو؛التعريف بالتفسير الذي يتناول المواضيع، وليس الكلمات القرآنية، وذلك منذ تأسس، إضافة إلى التعبير عن المرجو من دراسة هذه المواضيع.

مشكلة البحث:

تتمثل إشكالية البحث في التفسير الموضوعي من التأصيل إلى المؤمل في البحث عن بداية ظهور هذا اللون من التفسير، وإبراز الحاجة إليه في كل عصر؛ نظرًا للتغيرات المرتبطة بالمكان والزمان من جهة، ومن جهة أخرى فإن منهجية البحث في التفسير الموضوعي لها من الآليات ما يُمكنها من التكيف مع مستجدات العصر التقنية، والاستجابة للتطلعات التي تروم استخراج حلول وأجوبة ذات صبغة دينية.

أسئلة البحث:

١) هل التفسير الموضوعي قديم النشأة؟ أم هو وليد هذا العصر؟

٢) هل النصوص الدينية كفيلة بإيجاد الحلول التي يتطلبها كل عصر؟

أهداف البحث:

١) للتفسير الموضوعي جذور قديمة؛ غير أن الشكل الذي يأخذه حاليًا هو بمثابة

(١) عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، (الدار البيضاء: دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت)، ج١، ص٢٠٣.

طفرة في المنهجية التي يتبعها.

٢) تطبيق التفسير الموضوعي على القرآن الكريم -آخر كلام الله لعباده- سيساهم في الاستجابة لمتطلبات الناس في خطوطها العريضة.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات حول القرآن كموضوع؛ فمنها التي غطت البعد المتعلق بالتفسير الموضوعي، أو تلك التي بحثت عن الوحدة الموضوعية للسورة الواحدة.

أولًا: من الكتب المتعلقة بالتفسير الموضوعي:

نجد كتاب باقر الصدر -تغمده الله برحمته- "**مقدمات في التفسير الموضوعي**"، وهو عبارة عن ١٤ درسًا ألقاها فضيلته على تلاميذه في النجف الشريف، والذين قاموا بجمعها وتخريجها على شكل كتاب، والذي يقصد منه الالتزام بموضوع واحدٍ أشار له القرآن الكريم في أماكن متعددة؛ حيث يعمد الباحث فيه إلى جمع آياته التي أتت على ذكره قبل البدء بدراستها، وفيما يلي أنموذجات منه:

١) كتاب "**الصبر في القرآن**" للعلامة يوسف القرضاوي، ويقع في ١٠٨ صفحة، أراد به أن يدلو بدلوه في التأليف في التفسير الموضوعي.

٢) كتاب "**التقوى في القرآن الكريم**" دراسة في التفسير الموضوعي، للدكتور مُحَمَّد الدبيسي، وأصلها رسالة علمية.

ثانيًا: من الكتب المتعلقة بالوحدة الموضوعية للسورة الواحدة:

١) تفسير البقاعي (٨٨٥هـ) "**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**" الذي استهل فيه تفسير كل سورة بذكر الغرض الذي من أجله ضمت مواضيع معينة.

٢) تفسير سيد قطب رحمه الله "**في ظلال القرآن**" الذي يجتهد في الإخبار عن محور كل سورة قبل الشروع في تفسيرها.

٣) كتاب مُحَمَّد الغزالي رحمه الله "**نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**" الذي هدف من ورائه التعرف على الروابط الخفية التي تشد مواضيع السورة الواحدة.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية لا تتجاوز البحث في جذور التفسير الموضوعي ونهاياته. أيضًا تسليط الضوء على سيرورته ومقارنته مع الوحدة الموضوعية للسورة، ودراسة الكلمة القرآنية الحدود الزمانية منذ بدء الوحي إلى عصرنا الحاضر. الحدود المكانية؛ هي العالم الإسلامي الذي عرف مهد التفسير والمفسرين. الحدود البشرية؛ تشمل كل من أدلى بدلوه في مجال التفسير.

إجراءات وأدوات البحث:

إجراءات البحث وأدواته هي مجموع الخطوات المتبعة لإنجاز هذا البحث، والإجابة عن أسئلته، والمتمثلة في البحث خلال مراجعه، والمقارنة بين مختلف الأقوال والترجيح بينها بما يخدم رؤية البحث.

هيكل البحث

يضم البحث: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة. وفيما يلي تفصيله:

المقدمة: وضمت: أسباب اختيار الموضوع، منهج البحث، وهيكله.

المبحث الأول: موجز تاريخي لسيرورة التفسير:

المطلب الأول: التفسير في القرون الأولى.

المطلب الثاني: التفسير بعد القرون الأولى.

المطلب الثالث: التفسير في عصرنا.

المبحث الثاني: التفسير الموضوعي:

المطلب الأول: التعريف اللغوي للتفسير الموضوعي.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للتفسير الموضوعي.

المطلب الثالث: الأقوال في التفسير الموضوعي.

المبحث الثالث: نشأة التفسير الموضوعي وتطوره.

المبحث الرابع: الحاجة إلى التفسير الموضوعي.

الخاتمة: الخلاصة والمقترحات.

ثبت للمصادر والمراجع.

المبحث الأول

موجز تاريخي لسيرورة التفسير

المطلب الأول: التفسير في القرون الأولى:

رغم نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين؛ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٥] فالصحابة ﷺ احتاجوا إلى التفسير. أخرج الطبري[١] شيخ المفسرين، من حديث عبد الله بن مسعود، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ قال: فقال رسول الله ﷺ: «**ألا ترون إلى قول لقمان:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾ **[لقمان: ١٣]**». ففسر صلى الله عليه وسلم لأصحابه مقصود الظلم في هذه الآية؛ وهو الشرك.

ومن تتلمذ على الصحابة من التابعين ومن تبعهم أيضًا احتاجوا إلى التفسير؛ أخرج أبو نُعيم[٢] الأصبهاني: قال مجاهد بن جبر: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرَضات، أقفه على كل آية أسأله فيما نزلت، وكيف كانت؟».

فإذا كان الصحابة ﷺ قد سألوا عن بعض ألفاظ القرآن الكريم، وهم العرب الخُلص، ثم الذين من بعدهم سألوا عن جميع آيه، فهل يعني هذا أن التفسير مرَّ بمحطات ومراحل؟

لا شك أنه من مهام الرسول ﷺ تفسير القرآن الكريم؛ ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]. فهل فسَّر ﷺ سائر معاني القرآن الكريم؟

قال ابن عباس: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير

---

(١) الطبري، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (د.م: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠)، ج١١، ص٤٩٥. رقم (١٣٤٧٦)، وحكم عليه الطبري؛ بالصحة.

(٢)أبو نُعيم، أحمد بن عبد الله، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (مصر: السعادة، ط، ١٩٧٤)، ج٣، ص٢٧٩.

لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره». أخرجه الطبري[١] في تفسيره.

والوجه الثالث الذي أشار له ابن عباس هو ما فسره الرسول ﷺ كاستنباط الأحكام، واستخراج الدلالات من الآيات[٢].

فلو فرضنا أنه ﷺ فسر سائر المعاني لكان كتاب الله مغلقًا من حيث المعنى، فمن الذي سيجرؤ أن يغير أو يزيد شيئًا على أقواله؟

ولما تفاوت الصحابة في التفسير، ونحن نعلم أن الآيات التي أشار الحق تبارك لها في كتابه، والتي تتعلق بخلق السماوات والأرض، أو تتعلق بخلق الإنسان -لم يتم تفسيرها على الوجه اللائق بها إلا مع التطور العلمي.

وعلماء هذه الأمة يتجددون بتجدد الأزمنة؛ مما يدل على التجدد في فهم كتاب الله، وكونه مفتوحًا على عدة أفهام، والنظر إليه من عدة زوايا، حسب قدرات العلماء وميولاتهم.

كان التفسير في القرن الأول جد مختصر؛ حيث اقتصر على التفسير اللغوي لما أشكل من ألفاظ، وعلى المعنى الإجمالي، ربما يرجع السبب في ذلك إلى أنهم كانوا لا يزالون متأثرين بما نهوا عنه من كثرة سؤال الرسول ﷺ، أو أنهم في ذاك الزمان لم يستشعروا الحاجة لذلك.

جمع أئمة الحديث المأثور عن رسول الله ﷺ، وجعلوا التفسير بابًا من أبواب الحديث، وذلك بسنده المرفوع إليه ﷺ أو إلى الصحابة، أو التابعين، أو تابعيهم. احتفظ التفسير بطابع التلقي والرواية في عصر التابعين، شأنه في ذلك شأن الحديث، إضافة إلى ظهور شخصية كل صحابي، وكل تابعي، في أقواله. وبعد هذه الحقبة، ظهر رجال أحبوا هذا

(١) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج١، ص٧٥، رقم (٧١)، وقال: «وقد روي بنحو ما قلنا في ذلك أيضًا عن رسول الله ﷺ خبرٌ في إسناده نظر».

(٢) د.الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، (دمشق: دار القلم، ط٣، ٢٠٠٨)، ص١٩٣.

الدين حبًّا جمًّا، أفنوا جزءًا من حياتهم ارتحالًا من مصر إلى مصر؛ تجوال هدفه البحث عن حديث رسول الله، وجمع المأثور عن الصحابة والتابعين[١].

غير أن ما جمعوه هؤلاء من أمثال: هارون السلمي (١١٧هـ) وشعبة بن الحجاج (١٦٠هـ) وغيرهم، لم يصلنا شيء منه. ومع القرن الثالث؛ ظهرت تفاسير للقرآن كله حسب ترتيب المصحف نحو: تفسير ابن ماجة (٢٧٣هـ)، وابن المنذر (٣١٨هـ) وغيرهم. ورغم تفسير القرآن آية آية، إلا أنه احتفظ بطابعه في الاستناد إلى المأثور. وكانت هذه الخطوة بمثابة استقلال التفسير عن الحديث[٢].

المطلب الثاني: التفسير بعد القرون الأولى:

بعد القرون الأولى ظهر بعض الانعطاف في التعامل مع التفسير؛ إذ نجد الطبري (٣١٠هـ) في **تفسيره** ينهج نهجًا فيه الاتباع والابتداع. أمَّا الاتباع فتجلى في التزامه بالمأثور، وأما الابتداع فتجلى في ترجيحه بين الأقوال، وإدخال الإعراب، واستنباط الأحكام[٣].

ومنذ العصر العباسي إلى يومنا هذا ظهر اختلاط النقل بالعقل في التفسير، وامتزج بالعلوم والآراء الفلسفية والكلامية والفقهية. وهذا ما يقول حوله الدكتور الذهبي[٤]: إنه بدأ بشكل مقبول طالما ظل في حدود اللغة، ودلالة الكلمات القرآنية. وأضاف أن نضوج الفقه الإسلامي والتبحر فيه كان وراء ظهور التفاسير الفقهية، فهل يمكن تحديد الفترة الزمنية التي نضج فيها التفسير؟ هذا إن وُجدت!

عزى د. الذهبي[٥] قعود المتأخرين من المفسرين عن التوسع في فهم كتاب الله إلى توسع المتقدمين منهم في تفاسيرهم. وكأنه يقصد من كلامه أنهم لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا

(١) الذهبي، محمد السيد حسين، **التفسير والمفسرون**، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط، د.ت)، ج١، ص٤٥ و٩٧ و١٠٤.

(٢) المرجع نفسه: ج١، ص١٠٤، ١٠٥.

(٣) المرجع نفسه: ج١، ص١٠٥.

(٤) المرجع نفسه: ج١، ص١٠٨.

(٥) الذهبي، محمد السيد حسين، **التفسير والمفسرون**، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط، د.ت)، ج١، ص١١٠.

وخاضوا فيها، وأعطوها من العناية كل ما تستحقه. "فلم يترك الأول للآخر شيئًا". وهي مقولة من تراثنا قال عنها الجاحظ[١]: ما على الناس شيء أضر من قولهم: ما ترك الأول للآخر شيئًا. وجاء قوله بصيغة أخرى: «إذا سمعت الرجل يقول: ما ترك الأول للآخر شيئًا فاعلم أنه ما يريد أن يفلح».

هذا من شأنه تجميد العقول، وسد باب التجديد والابتكار، والانشغال بالحفظ وتكرير الموجود؛ بينما نجد الخطاب القرآني يحث على التفكر والتدبر، وهو خطاب للبشرية، مذ نزوله إلى قيام الساعة، غير مخصوص بزمن النبوة. ولا بد أن يكون التدبر والتفكر مختلفًا عبر العصور؛ نظرًا لتطور العلوم والمعارف الإنسانية.

أخرج الترمذي[٢] (٢٧٩هـ) من حديث الحارث الأعور، قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على عليٍّ ﷺ فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إنها ستكون فتنة**»، فقلت: ما المخرج يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبَّار قصمه، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجنُّ إذ سمعته حتى قالوا:** ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، **الخصائص**، (د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، د.ت)، ج١، ص١٩١، ١٩٢، وياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي الحموي، **معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣)، ج٥، ص٢١٠٣.

(٢) الترمذي، أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى، **الجامع الكبير– سنن الترمذي**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ط، ١٩٩٨)، رقم (٢٩٠٦)، ج٥، ص٢٢. قال محقق الكتاب، بشار عواد معروف: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال».

﴿بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ **[الجن: ١، ٢]، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم**».

وفي كتاب "**جواهر القرآن**" يقول الغزالي(١): إن القرآن تتشعب منه علوم الأولين والآخرين.

أخرج الحاكم(٢) في **المستدرك**، من حديث عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإيمان ليخلَق في جوف أحدكم، كما يَخلَق الثوب الخَلِق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**».

فإذا كان الإيمان يبلى ويحتاج إلى التجدد، أفلا تحتاج علوم الدنيا هي الأخرى إلى التجدد؟! وهكذا؛ تغاضوا عن هذه النصوص النبوية، ولم يُلتفت إلى تأويلات الصحابة وفهمهم، وحالت هذه الأفكار دون التجديد في فهم معاني القرآن الكريم، الذي يمكن أن ينطلق من اكتشاف نَوَيَات العلوم الدنيوية المبثوثة في كتاب الرحمن الرحيم، والتي من شأنها إعطاء جرعة إيمانية نرد بها على المشككين في الله وكلماته، وقفزة علمية ربانية تقدم خدمات للبشرية على المستويين؛ الدنيوي والأخروي.

هكذا ثوي التفسير في حلته الأولى التي وصلت إلينا، أو كاد؛ غير أن المولى عز وجل كما كتب الحركة على سائر مخلوقاته، كتب الحركة في فهم هذا الدين. أخرج أبو داود(٣) من حديث أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ**

(١) الغزالي، أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطوسي، **جواهر القرآن**، (بيروت: دار إحياء العلوم، ط٤، ١٩٨٦)، ج١، ص ٢١، و٤٤-٤٧.

(٢) الحاكم، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الإيمان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠)، ج١، ص٤٥، رقم (٥). قال المحقق مصطفى عبد القادر عطا: رواته ثقات، نقلًا عن تلخيص الذهبي.

(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، **سنن أبي داود**، (بيروت: المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، د.ت)، ج٤، ص١٠٩ كتاب الملاحم، باب "ما يذكر في قرن المائة"، رقم (٤٢٩١)، وحكم الألباني: صحيح.

مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا». وكيف يكون التجديد في الدين، بعيدًا عن التجديد في تفسير كلامه سبحانه؟!

فالمنطق السليم يقتضي ألا نفسر قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ١٠١] بما فُسرت به في القرون الوسطى. وإلا فنظرنا سيكون ثابتًا، وعقولنا لا تراوح مكانها. وألا يظل تفسير قوله تعالى﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] بدورانها حول الأرض تمامًا كمفهومه القرسطوني؛ ونحن نعيش زمن غزو الفضاء، أو لنقُل: غزو السماوات والأرض ...

المطلب الثالث: التفسير في عصرنا:

من بين الدوافع وراء التجديد في التفسير في عصرنا الحاضر حالة الضعف التي عليها واقع الأمة الإسلامية، وخطر المذاهب المناوئة للإسلام، والتي تغزو عقول الناس وتبهرهم بعروضها المغرية(١).

وعن التفسير في هذا العصر يقول الذهبي(٢): إنه اصطبغ باللون الأدبي الاجتماعي، وإنه يسلط الضوء على معاني من القرآن ذات علاقة بالجانب الاجتماعي، والجانب العمراني، وتميزت ببعدها عن كل أصناف التمذهب، والإسرائيليات، والأحاديث الضعيفة.

ومن أبرزها: تفسير مُحَمَّد عبده رحمه الله، وتلميذه مُحَمَّد رشيد رضا رحمه الله الذي أخرجه تحت عنوان "**تفسير المنار**". يقول د. الذهبي(٣) عن مدرسة مُحَمَّد عبده في التفسير: «إنها عالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأمم عامة، بما أرشد إليه القرآن، من هداية وتعاليم جمعت بين خيري الدنيا والآخرة».

أظن أنه لن يختلف اثنان أن ما يقوله الذهبي هو ما كان يجب أن يكون، لو كانت الأمة الإسلامية مزدهرة، بناء على تطبيق التعاليم الإسلامية، فتفاعل مدرسة مُحَمَّد عبده مع

(١) د. الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، ص٥٦٥.

(٢) الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج٢، ص٤٠١.

(٣) المرجع نفسه: ج٢، ص٤٠٢.

الواقع، ومواكبة التحولات الأيديولوجية والسياسية وغيرها في عصره لم يكن كافيًا للنهوض بواقع الأمة الإسلامية، وباقي القصة كلنا يعرفها ...

بينما د. صلاح الخالدي[1] يرى أن هذه الاتجاهات هي أوسع من ذلك؛ إذ تشمل إضافة لما ذُكر الآتي:

أولًا: الاتجاه الأثري: الذي اقتصر على تفسير القرآن بالقرآن. من رواده: مُحَمَّد رشيد رضا في تفسيره "**المنار**"، والقاسمي في "**محاسن التأويل**"، والشنقيطي في "**تفسير القرآن بالقرآن**"، ودروزة في "**التفسير الحديث**".

ثانيًا: الاتجاه العقلي: الذي يعتمد على التحليل العقلي. ومن مشاهيره: ابن عاشور في "التحرير والتنوير"، والمراغي في تفسيره، ومحمود حجازي في "التفسير الواضح".

ثالثًا: الاتجاه العلمي: الذي يذهب في تفسيره للآيات مذهبًا يرجع إلى العلم الحديث، فيتطور التفسير بتطور العلوم الحديثة. أشهر هؤلاء المفسرين: طنطاوي جوهري في "**الجواهر في تفسير القرآن الكريم**"، ومُحَمَّد الجمال في "**التفسير الفريد للقرآن المجيد**"، وحنفي أحمد في "**التفسير العلمي للآيات الكونية**"، وعبد الرزاق نوفل في "**القرآن والعلم الحديث**"، وموريس بوكاي في "**الكتب المقدسة على ضوء العلم الحديث**".

رابعًا: الاتجاه الدعوي الحركي: الذي يركز على التربية ودعوة الآخرين على أساس القرآن الكريم. من أشهر رواد هذا الاتجاه: سيد قطب في "**في ظلال القرآن**"، وسعيد حوى في "**الأساس في التفسير**" رحمهما الله.

(١) الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، ص ٥٦٦-٥٦٨.

المبحث الثاني: التفسير الموضوعي

تمهيد:

التفسير الموضوعي هو شكل من أشكال العناية بالكتاب المقدس عند المسلمين، وهو لون من ألوان تفسيره المتعلق بمعاني القرآن الكريم، التي تشكل عناصر لموضوع ما، قد يتعلق بالأرض والحياة على سطحها، وقد يتعلق بالكون وما وراءه. وفيما يلي تعريفه اللغوي والاصطلاحي:

المطلب الأول: التعريف اللغوي:

أولًا: التفسير لغة:

١) قال ابن فارس[١] (٣٩٥هـ): إن "الفاء والسين والراء" كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه.

٢) وقال ابن منظور[٢] (٧١١هـ): الفَسْر: البيان، وكشف المغطى. والتَّفْسير مثله. وهو كشف المراد عن اللفظ المشْكل.

ثانيًا: الموضوع لغة:

١) قال ابن فارس[٣] (٣٩٥هـ): إن "الواو والضاد والعين" أصل واحد يدل على الخَفض للشيء وحَطه. وَوضعت المرأة ولدها والوضائع: قوم ينقلون من أرض إلى أرض يسكنون بها.

٢) جاء في **معجم اللغة العربية المعاصر**، لمختار أحمد[٤] موضوع: اسم مفعول من وَضَع. وهو مادة يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه. موضوعي: ما هو مجرد عن غاية

(١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٤، ص٥٠٤.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل مُحَمَّد بن مُكَرَّم، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج٥، ص٥٥.

(٣)) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٦، ص١١٧.

(٤) مختار، أحمد عبد الحميد عمر، **معجم اللغة العربية المعاصر**، (د.م: عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨)، ج٣، ص٢٤٥٥ و٢٤٥٧.

شخصية. ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمن: ٧] أقامه ونصبه. وضع الكتاب: ألَّفه. وضعت الحامل ولدها: ولدته. وضع العالم العلم: اهتدى إلى أصوله وأولياته.

ثالثًا: التعريف اللغوي للمركب:

التفسير الموضوعي هو الكشف والبيان الموضوعي المجرد عن أية غاية ذاتية، والذي يتعلق بأمر ما قد يستخرجه المفسر من ذهنه أو قد يتعلق بأمر مشْكل، أو قد ينقله من كتب ليجعل منه مادة لكتابه، فيضعه أمام الآخرين بعد أن اهتدى لمسبباته.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي:

أولًا: التفسير في الاصطلاح:

١) قال الزركشي[(١)] (٧٩٤هـ): «فالتفسير كشف المغلق من المراد بلفظه، وإطلاق المحتبس من الفهم به ...».

٢) قال الجرجاني[(٢)] (٨١٦هـ): التفسير: في الأصل: هو الكشف والإظهار، وفي الشرع: توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة.

٣) قال الزرقاني[(٣)] (١٣٦٧هـ): هو «علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية».

يلاحظ من التعاريف السابقة الآتي: التعريف الأول ذكر اللفظ القرآني. أما التعريف الثاني فذكر الآية. والتعريف الأخير شمل القرآن كاملًا؛ لفظًا، ومعنى، ومناسبة. وهذا أخْير.

(١) الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، (لبنان: دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٧٥)، ج٢، ص١٤٧.

(٢) الجرجاني، علي بن مُحَمَّد بن علي، **معجم التعريفات**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣)، ص٦٣.

(٣) الزرقاني، مُحَمَّد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (د.م: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط٣، د.ت)، ج٢، ص١٣٣.

ثانيًا: الموضوع في الاصطلاح:

١) قال الجرجاني[١] (٨١٦هـ): إن الموضوع هو محل العرض المختص به، وقيل: هو الأمر الموجود في الذهن. وموضوع كل علم: ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية كبدن الإنسان لعلم الطب.

٢) قال عبد الستار فتح الله سعيد[٢]: الموضوع عند علماء التفسير هو القضية التي تعددت أساليبها، وأماكنها في القرآن الكريم، ويجمع بينها المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة.

حدد التعريف الأول مكان الموضوع وكنهه بشكل عام. أما التعريف الثاني فكان خاصًّا بعلم التفسير؛ حيث حدد الرابط بين أطراف الموضوع. وبقوله "المعنى الواحد" يخرج الوجوه والنظائر. حيث الكلمة تذكر في القرآن في عدة مواضع. وفي كل واحد منها لها معنى مغاير.

٣) المعنى الإضافي:

التفسير الموضوعي هو كشف المغلق من المراد بموضوع ما، قد يكون في القرآن، وقد يكون في غيره. وذلك بالبحث عن عوارضه الذاتية، وكنهه، وكيف عالجه القرآن الكريم.

ثالثًا: الأقوال في التفسير الموضوعي عند بعض المعاصرين:

بعد تعريف التفسير الموضوعي يأتي دور معرفة بعض ما يروج حوله عند أصحاب الاختصاص.

١) التفسير الموضوعي عند مُحَمَّد باقر الصدر، من خلال كتابه "المدرسة القرآنية":

اختزل باقر الصدر[٣] (١٩٨٠م) (**المدرسة القرآنية**، ٢٠١٣: ٨-١٤)، اتجاهات

(١) الجرجاني، **معجم التعريفات**، ص١٩٩.

(٢) سعيد، عبد الستار فتح الله، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، (القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط٢، ١٩٩١)، ص٢٠.

(٣) الصدر، مُحَمَّد باقر، **المدرسة القرآنية**، (د.م: دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ٢٠١٣)، ص٨-١٤.

التفسير نحو التالي:

أ. الاتجاه التجزيئي في التفسير؛ وهو الذي يفسر ويئول القرآن آية آية، انطلاقًا من سورة الفاتحة إلى غاية سورة الناس، ويأخذ في اعتباره اختلاف السياقات، وتفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة. وحصيلته؛ حشد من المعارف والمدلولات القرآنية مبعثرة، تفتقر إلى التوزيع حسب التخصصات الذي من شأنه المساعدة على اكتشاف نظرية القرآن لكل منها، والتعرف على غاياتها ومقاصدها.

ب. الاتجاه التوحيدي، أو التفسير الموضوعي: وهو الذي يبحث في موضوع من موضوعات الحياة العقائدية، أو الاجتماعية، أو الكونية. ويُمثل لذلك بالبحث عن: عقيدة التوحيد في القرآن، النبوة في القرآن، المذهب الاقتصادي في القرآن، سنن التاريخ في القرآن، السماوات والأرض في القرآن، وهكذا. وهذا التفسير يحتاج أيضًا لتحديد المدلولات التجزيئية في آيات الموضوع قيد الدرس.

وتستهدف هذه الدراسة الموضوعية من وجهة نظره تحديد الموقف النظري للقرآن وللرسالة الإسلامية، من هذا الموضوع المتعلق بالحياة أو بالكون. ويضرب لهذا مثلًا بكتب تفسير الحديث التي بُوبت وفق مسائل ذات صلة بواقع الحياة. فنجد كتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، وكتاب البيع، و... ثم يضم داخل كل كتاب ما اتصل به من روايات، فيشرحها الفقيه ويقارن بينها ليصل للحكم الشرعي الذي يصعب استخلاصه، وبمسئولية عن طريق النظر في رواية واحدة.

هكذا عمَّ الاتجاه الموضوعي جل البحوث الفقهية؛ بينما حكم الاتجاه التجزيئي التفسير ما يناهز الثلاثة عشر قرنًا. ويضيف باقر الصدر[1] موضحًا أن أي تجميع عددي يستخرج من التفسير التجزيئي، لا يمكن إدراجه تحت مظلة التفسير الموضوعي بحجة أنه يطرح فقط قضايا قرآنية، يجمعها نوع من التشابه نحو: أسباب النزول، أو القراءات، أو

(١) الصدر، مُحَّد باقر، **المدرسة القرآنية**، (د.م: دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ٢٠١٣)، ص١٤، ١٥.

الناسخ والمنسوخ، أو المجازات. ولا ينصب على موضوع من موضوعات الحياة: العقدية، أو الاجتماعية، أو الكونية، وتقييمه من زاوية قرآنية بغية التوصل لنظرية حوله.

ولمزيد من التوضيح يبرز باقر الصدر(١) فارقين رئيسيين بين التفسير التجزيئي، والتفسير الموضوعي، من حيث منطلق الدراسة ونقطة وصولها:

الفارق الأول: يتجلى في موقع انطلاق التفسير الموضوعي؛ ألا وهو الموضوع الواقع في العالم الخارجي، والذي استفدنا في تناوله من حصيلة التجربة البشرية وكل المعارف الإنسانية، حيث يكون للمفسر دور المحكم للقرآن في هذه التجارب وهذه المعارف. وهذا ما لا ينطبق على التفسير التجزيئي الذي ينطلق من القرآن ليعود إليه، في حين ينطلق التفسير الموضوعي من الواقع ليعود إلى القرآن. وبهذا يتميز بحركة مد وجزر بين الواقع والقرآن.

الفارق الثاني: يتجلى في اكتفاء التفسير التجزيئي بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات؛ بينما يطمح التفسير الموضوعي إلى اكتشاف أوجه الارتباط بين هذه المدلولات، في محاولة للوصول إلى مركب نظري قرآني. ويتابع باقر الصدر(٢) حديثه الشيق موضحًا أن المسألة لا تتعلق باستبدال اتجاه في التفسير باتجاه آخر، بقدر ما تتعلق بضم الاتجاهين لبعضهما البعض.

يستمر باقر الصدر(٣) في توضيح فكرته حيث يقول: إن نعْت هذا الاتجاه في التفسير بالتوحيدي، ناتج عن التوحيد بين التجارب البشرية والقرآن، دون أن يُخضع أحدهما للآخر. وهو توحيدي أيضًا لأنه يجمع عددًا من الآيات التي تشترك في موضوع واحد، فيوحد بينها وبين مدلولاتها لعلة يظفر بنظرية قرآنية حولها. والحاجة لدراسة هذه النظريات وغيرها في الفقه، وفي الإسلام كله أصبحت ملحة؛ نظرًا للتفاعل الحاصل بين العالم الإسلامي

(١) المرجع نفسه: ص٢١، ٢٢.

(٢) الصدر، مُحَمَّد باقر، **المدرسة القرآنية**، (د.م: دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ٢٠١٣)، ص٣٠.

(٣) المرجع نفسه: ص٢٣، ٢٤ و٣٠.

والغربي.

من الواضح أن باقر الصدر حدد موقع إنطلاق البحث في مواضيع التفسير الموضوعي؛ وذلك من الواقع الخارجي عن القرآن. لكن السؤال الذي سيطرح نفسه هو: هل هناك من مانع في انطلاق البحث الموضوعي من القرآن؟ لتجد نتائجه موضع تطبيق في الواقع؟ نحو البحث في مراحل تكوين الجنين التي لو انطلق البحث فيها من القرآن لكان للمسلمين السبق في اكتشافها في الواقع، عوض أن يقال لنا ذلك بعد أن يكتشفها الغرب.

٢) التفسير الموضوعي عند الدكتور الألمعي[١]، من خلال كتابه "دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم":

التفسير الموضوعي عند الألمعي قسمان:

الأول: يتعلق بالكلمة القرآنية، أو ما يعرف بالوجوه والنظائر؛ حيث يتم تتبع الكلمة القرآنية وتدوين الوجوه التي دلت عليها، وذلك في معاجم أو كتب.

والثاني: يتعلق بالموضوع القرآني؛ حيث يتم تتبعه بجمع الآيات التي ذكرته، سواء اشتركت معه في اللفظ، أو في المعنى، أو تعلقت به من بعض الوجوه.

ثم يعرف د. الألمعي[٢] التفسير الموضوعي بالتالي: «جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن الكريم المتعلقة بالموضوع الواحد لفظًا أو حكمًا، وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية، مع الربط بينها لخدمة الموضوع الذي وردت فيه». وهذا تعريف للتفسير الموضوعي من خلال منهجه.

ويفرق د. الألمعي[٣] -كباقي زملائه- بين مباحث علوم القرآن والتفسير الموضوعي للقرآن. وإن كان يعتقد بوجود صلة بينهما من بعض الوجوه. وهدف هذه الدراسة عنده هو

(١) د. **الألمعي**، زاهر بن عواض، **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، (الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ط٤، ١٤٢٨)، ص١٠، ١١.

(٢) المرجع نفسه: ص١١.

(٣) المرجع نفسه: ص٨، و٢٠، و٢٥، ٢٦.

الوصول إلى حقيقة واحدة تفيد الإنسان والمجتمع.

وعند حديثه عن طرق البحث في التفسير الموضوعي نجده يهمل تفصيل ذلك لو تعلقت المسألة بالكلمة القرآنية. في حين يفصل في طريقة البحث المتصلة بالوحدة الموضوعية للسورة الواحدة، أو المقترنة بدراسة إحدى موضوعات القرآن الكريم. ثم يعقب أن الكلام عن التفسير الموضوعي لا يكاد ينصرف إلا إلى البحث حول موضوع من مواضيع القرآن الكريم.

من خلال النموذجين اللذين عرضهما كل من: باقر الصدر والألمعي حول التفسير الموضوعي نلاحظ الآتي:

أ. قيد باقر الصدر التفسير الموضوعي بدراسة الموضوع. أما الألمعي –وإن كان يعترف بأن التفسير الموضوعي هو ما يتعلق بالموضوع إلا أنه يتوسع في مفهومه ليشمل الكلمة والسورة والموضوع.

ب. اقتصر باقر الصدر على انطلاق الموضوع من الواقع، لتتم معالجته من خلال التجارب والمعارف الإنسانية، ثم يأتي دور القرآن الكريم ليزكي هذه الحلول ويهذبها. وبالنسبة للألمعي فإن التفسير الموضوعي مقيد بالموضوعات القرآنية.

ج. هدف دراسة الموضوع بالنسبة لباقر الصدر هو التماس نظرية قرآنية حوله؛ بينما ربط الألمعي البحث في السورة بربط جميع القضايا التي تناولتها بالغاية الكبرى لهذه السورة. أما الهدف من التفسير الموضوعي فهو الوصول إلى حقيقة تفيد الإنسان والمجتمع.

بعد الذي ذُكر يفضل اعتبار بعض مباحث القرآن الكريم كالوجوه والنظائر تمهيدات لبروز التفسير الموضوعي في حلته الجديدة، بدل اعتبارها وجهًا من وجوهه. فرغم أنها نوع من أنواع التفسير، ولها أهميتها في إبراز بعض إعجاز القرآن الكريم؛ لكن بالنظر إلى الأهداف التي يحققها كل منهما –خاصة على المستوى الاجتماعي– فالبون شاسع للغاية.

٣) التفسير الموضوعي عند مصطفى مسلم، من خلال كتابه "مباحث في التفسيرالموضوعي":

ذكر مصطفى مسلم[١] عدة تعاريف للتفسير الموضوعي، نسب البعض منها لأصحابها؛ كتعريف زاهر بن عواض، وتعريف عبد الستار فتح الله سعيد، وذكر تعريف باقر الصدر دون تسميته. ثم رجَّح من بينها التعريف التالي: "هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر". وذلك لاقتصارها على التعريف من دون شرح، أو إشارة لمنهجه.

ديباجة هذا التعريف: وسمت هذا التفسير بصفة العلم. في حين أطلق عليه الألمعي[٢] صفة "لون من ألوان التفسير". كما حدد التعريف مادة هذا الفرع من التفسير، وهي تناوله للقضايا. وبهذا يكون قد أخرج التفسير من صبغته التقليدية، وهي التفسير حسب الترتيب المصحفي، والاهتمام بالإعراب والبلاغة، ودلالات الألفاظ القرآنية. اللهم ذات الصلة بالقضية المدروسة. كما يمكن أن نستشف من كلمة "القضايا" تلك التي ستحمل على عاتقها إيجاد حلول من خلال دراستها.

أما تعلق هذه القضايا بالمقاصد القرآنية، فيمكن الفهم منه أن عدد القضايا سيكون بعدد المقاصد القرآنية. وفي هذه الحالة، قد يكون التفسير الموضوعي مرادفًا للتفسير المقاصدي، كما أن هذا التعريف استعمل لفظ القضايا بالإطلاق مما يعني أنه سيشمل القضايا الفكرية المعاصرة، والإشكالات المجتمعية التي تجد، والتي سيتم معالجتها من خلال الرجوع للمقاصد القرآنية، حتى لو أن هذه القضايا تعلقت بمشروع نهضوي إسلامي عام.

فالتعريف حدد منطلق الدراسة؛ لكنه لم يحدد الغاية منها، ولا الوسائل التي سيتبعها. غير أن هذه أمور لا تدخل في التعريف الذي يُقصد منه الدلالة اللفظية للصورة الذهنية، أو ما يسمى بالمفهوم.

كما أن البحث في سورة واحدة قد يفهم منه القضايا التي عالجها القرآن من خلال

(١) مسلم، مصطفى، **مباحث في التفسير الموضوعي**، (دمشق: دار القلم، ط٣، ٢٠٠٠)، ص١٦.

(٢) د. الألمعي، **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ص٨.

سورة واحدة، والتي سيتم تفسيرها وفق مقصد السورة، أو مقاصدها. أما في حالة تكرر الموضوع في سور متعددة فلن يكون الوصول لنظرية قرآنية مكتملة حوله أمرًا هينًا، إذا ما اقتصرنا على سورة واحدة.

٤) تعريف أحمد الكومي، ومُحَمَّد القاسم، في كتابهما "**التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**":

أما الدكتور الكومي[١] فقد عرف التفسير الموضوعي كالآتي: «هو بيان الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد؛ وإن اختلفت عبارتها وتعددت أماكنها، مع الكشف عن أطراف ذلك الموضوع حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه ويلم بكل أطرافه. وإن أعوزه ذلك؛ لجأ لبعض الأحاديث المناسبة للمقام لتزيدها إيضاحًا وبيانًا».

المتأمل لهذا التعريف يرى طريقة البحث في هذا اللون من التفسير واضحة، عكس الإفصاح عن الهدف من الدراسة. مع وجود بعض التكرار الذي جرت العادة في التعاريف أن يخلو منها. كما أنه حصر البحث في القرآن والسنة، وتغاضى عن التقدم الذي تصل له المعرفة الإنسانية، وحتى عن حاجة البشرية لمثل هذه البحوث التي من الممكن أن تنور حياتها الدنيوية والأخروية.

٥) التفسير الموضوعي عند الدكتور سعيد (١٩٣١م)، من خلال كتابه "المدخل إلى التفسير الموضوعي":

عرَّفه سعيد عبد الستار[٢] بالآتي: "هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة، لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع".

حدد التعريف مجال بحث هذا العلم؛ ألا وهو قضايا القرآن الكريم، وزاد عليه تحديد

(١) د. الكومي، أحمد السيد، **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، (د.م.، د.ن، ط١، ١٩٨٢)، ص١٦، ١٧.

(٢) د. سعيد، عبد الستار فتح الله، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، (القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط٢، ١٩٩١)، ص٢٠.

الهدف منه؛ ألا وهو التوصل إلى رباط يجمع عناصر موضوع البحث، وأعطانا فكرة عن عناصر القضية المبحوثة، وهي الخيوط التي منها نسج القرآن الكريم لحمة القضية الواحدة المتمثلة في مجموع الآيات التي ذكرت، أو تعرضت لهذه القضية. وأشار أيضًا للمنهجية المتبعة في هذا النوع من العلوم. أما الغاية فهي التوصل لرباط يجمعها، وترك الباب مفتوحًا للبحث في سورة واحدة، أو مجموع السور.

وأضاف سعيد عبد الستار[١] إمكانية حاجة التفسير الموضوعي لسائر ألوان التفسير، وأنواعه أو بعضها، نحو التفسير بالمأثور، أو التفسير التحليلي، أو الإجمالي، أو المقارن، لتتظافر جميعها في خدمة كتاب الله. كما أنه وضع التفسير الموضوعي مقابل التفسير الموضِعي، وأشار إلى خلو المكتبات الإسلامية من موسوعة تضم القضايا التي ألمع لها القرآن، وكل ما هو موجود لحين تأليفه هذا الكتاب هو دراسات وأبحاث متفرقة.

إن تعريف سعيد عبد الستار حصر المواضيع المبحوثة في تلك الموجودة في القرآن الكريم؛ في حين تعريف مسلم أطلق البحث في القضايا ولم يقيدها بمكان تواجدها، وهو توسع غاية في الأهمية. فالقرآن الكريم والسنة النبوية هما على رأس المرجعية الإسلامية. والطبيعي، أنه كلما طرأ على المسلمين أحد المستجدات في واقعهم أن يعودوا إليهما. إضافة إلى نفر طائفة لدراسة مواضيع القرآن الكريم.

وقد نستشف مما أشار له د. سعيد[٢] في إبراز إعجاز قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣] حيث يقول: إن الإكمال يتعلق بالوصف والكيف، والإتمام يرجع إلى العدد والكم. أي أن القرآن الكريم لم يغفل أي موضوع يمكن للبشرية أن تواجهه إلا وقد ذكره؛ تصريحًا أو تلميحًا.

(١) المرجع نفسه: ص١٦-٢١.

(٢) سعيد، عبد الستار فتح الله، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، (القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط٢، ١٩٩١)، ص٤١.

٦) التفسير الموضوعي عند الدكتور الدقور [١]:

يقدم د. الدقور سليمان في بحثه "**التفسير الموضوعي، إشكالية المفهوم والمنهج**" نقدًا بناء حول تعريفات التفسير الموضوعي، التي تبتعد عن مفهومه الدقيق. حيث يشوبها نوع من الخلط، فيدخل فيه مباحث ليست منه نحو: المصطلح القرآني، أو الوحدة الموضوعية للسورة، أو علم المناسبات، أو منهج البحث وآلياته.

فأهمية التفسير الموضوعي تتجلى في إبراز الروابط التي تجمع الموضوع الواحد، ومنهج القرآن في تناوله؛ رغم تشتت الآيات التي ذكرته في مواضع مختلفة من القرآن الكريم. لهذا؛ فالاقتصار على موضوع في سورة واحدة لا يُمكن من معرفة الهدف القرآني، من الإشارة إليه. وكل ما يمكن أن نصل له هو تجلية خصائص السورة. وهو أمر مهم لاستكمال التفسير التحليلي للسورة، أو إظهار جزء من أجزاء الموضوع القرآني الذي لأجل استكماله نحتاج النظر في باقي السور التي أومأت له.

لكل ما سبق، لا يمكن للتفسير الموضوعي كي يستأثر بهذه التسمية إلا أن يستوعب نوعًا واحدًا من البحوث؛ ألا وهو البحث في القضية القرآنية، ليخلص سليمان الدقور[٢] إلى تعريف التفسير الموضوعي، الآتي: «هو منهج تفسيري يبحث في القرآن الكريم بقصد تركيب صورة قرآنية شاملة حول موضوع ما من الموضوعات التي طرقها القرآن الكريم، سواء أكان ذلك لإبرازها في ذاتها، أم لمعالجتها في الواقع».

وقد عزز رأيه بأقوال بعض المختصين الذين يتفقون معه جزئيًّا أو كليًّا؛ منهم الدغامين في كتابه "**منهجية البحث في التفسير الموضوعي**"، وبآراء صلاح الخالدي من كتابه "**التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**"، وما قاله فتح الله سعيد في كتابه "**المدخل إلى التفسير الموضوعي**".

(١)الدقور،سليمان،"**التفسير الموضوعي، إشكالية المفهوم والمنهج**"، ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر "التفسير الموضوعي للقرآن الكريم/واقع وآفاق، ص٥-١٤، https://tafsir.net/uploads/books/١١١١/٦٠٩٨

(٢) المرجع نفسه، ص١٤.

أحسن الدقور في اختيار تعريف للتفسير الموضوعي؛ حيث شمل البحوث التي تنطلق من القرآن، والبحوث التي يستدعيها الواقع، فتعود للقرآن قصد التنقيب عن معطيات حول حلول لها. وأوجز، إذ لم يُدخل منهجية تناوله ضمن التعريف، ولم يقيد البحث بالسورة الواحدة. كما أنه لم يربط نتائجها بالمقاصد القرآنية. وهذا أفضل. فالمقاصد ليست دائمًا منصوص عليها في القرآن الكريم، وهو مجال ما زال يحتاج لجهود ضخمة، ويظل يخضع للاجتهاد البشري.

من خلال الأقوال الستة السابقة، هناك من وصف التفسير الموضوعي بالعلم، وهناك من سماه لونًا من ألوان التفسير، أو منهجًا فيه. وحول العلم يقول الزرقاني[1]: إن العلم يقال على المعلومات المنضبطة بجهة واحدة، سواء أكانت وحدة الموضوع أم وحدة الغاية؛ لذا فكل تلك الأوصاف التي وُسم بها التفسير الموضوعي فهي تنطبق عليه تمامًا.

الخلاصة

بعد أن استمعنا لعدة أقوال حول التفسير الموضوعي وتعريفاته، ظهر الفرق جليًّا بين الوحدة الموضوعية للسورة، والتفسير الموضوعي؛ وذلك من حيث الخدمة التي يقدمها كل منهما للتفسير. فأما الأول: فيخدم بالدرجة الأولى التفسير التحليلي للسورة ويثريه. وأما الثاني: فيخدم التفسير من حيث الإعجاز، ومن حيث التنوع الذي يليق بالبحث في كلام الله تعالى، ويرقى به من الرتابة التي خضع لها لعدة قرون خلت. كما أنه يستجيب لحاجيات عصرنا هذا.

وقد ظهر الفرق بين مباحث علوم القرآن كالناسخ والمنسوخ والوجوه والنظائر، وبين التفسير الموضوعي الذي يجلي فكرة موضوع ما، من خلال البحث عن جذوره في القرآن الكريم، وتدبر الطرق التي بها عالجه، والمقصد أو المقاصد التي لأجلها ذكره. وربط الكل عن طريق النظر الكلي في جميع جزئياته مجتمعة، لعلنا نظفر بأحسن تفسير، أو نقاربه، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان ٣٣].

(١) الزرقاني، **مناهل العرفان**، ج١، ص١٣.

المبحث الثالث

الأقوال في نشأة التفسير الموضوعي وتطوره

تعددت الآراء حول نشأة هذا اللون من التفاسير؛ فمنهم من ربطها بالتفسير النبوي الذي فسّر القرآن بالقرآن، وبذلك حكم على نشأته بمرحلة نزول الوحي. ومنهم من نسبها إلى العصر الحديث بالنظر لما تعارف عليه في عصرنا الحاضر هذا اللون من التفسير، وللطريقة التي تناول بها مواضيعه ... وفيما يلي بعض الأطروحات حول الموضوع[١]:

أولًا: جهد الشاطبي (٧٩٠هـ) في التفسير الموضوعي الكشفي، الدكتور رحماني[٢]:

من خلال مقالته **بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية** يهدف رحماني[٣] إلى إبراز جهد الشاطبي في التفسير الموضوعي؛ وتحديدًا الوحدة الموضوعية للسورة الواحدة، وهو ما يسمى بالتفسير الموضوعي الكشفي، الذي يقابله التفسير الموضوعي التجميعي، حيث يستجمع الموضوع أطرافه من خلال تجميع كل الآيات المتعلقة بالقضية الواحدة، والقائمة على فكرة الكليات؛ أي الإدراك الشامل للقرآن كله. فرحماني[٤] يعتقد بسبق الشاطبي لهذه الفكرة، عمقًا ومنهجًا. وهو ما ذلل الصعاب أمام البقاعي كي يُخرج تفسيره "**نظم الدرر في تناسب الآي والسور**".

ويقول[٥]: إن مصطلح التفسير الموضوعي مصطلح عصري جدًّا. أما فكرته فهي قديمة جدًّا؛ فالجاحظ في القرن الثالث ألف كتابه في الإعجاز بالنظم، وفي القرن الرابع برز

(١) تم البدء في هذه المقالة بجهد الشاطبي في التفسير الموضوعي؛ لأن مؤلفه "**الموافقات**" هو الأقدم، ثم جاءت الآراء تباعًا. وفي الغالب، ابتداء من أقدم تاريخ الطبعة الأولى لكل كتاب.

(٢) د. رحماني، أحمد عثمان، **جهد الشاطبي في التفسير الموضوعي الكشفي**، (دبي: مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد ٢٧، يونيو ٢٠٠٤)، ص٤٧-٧٢.

(٣) المرجع نفسه: ص٤٧.

(٤) المرجع نفسه: ص٥٣.

(٥) المرجع نفسه: ص٤٨-٥١.

الحاتمي في فكرة النظرة الكلية للنص، التي تبلورت في القرن الخامس وذلك مع عبد القاهر الجرجاني حول نظرية النظم؛ التي مفادها أن النظم يتجسد كلما بُني الكلم بعضه على بعض، وتعلق بعضه ببعض.

هاتان الفكرتان: النظرة الكلية للنص ونظمه، القائم على تعلق أجزائه، بعضها ببعض، هو ما سيبني عليه المفسرون منهجهم في التفسير، كما فعل الشاطبي في تفسيره لسورة "المؤمنون"، والبقاعي في تفسيره "**نظم الدرر في تفسير الآيات والسور**" الذي طبق فيه هذا المنهج على القرآن كله. والسيوطي في كتابه "**أسرار ترتيب القرآن**" الذي اجتهد فيه لإبراز أنواع التناسب(١) بين أجزاء القرآن.

يتكلم د. رحماني(٢) عن العلاقة بين فكرة "الكليات" بالتفسير الموضوعي فيقول: إن هذه الفكرة من شأنها تيسير الفهم، وذلك من خلال البناء الفكري الذي تقوم عليه. وضرب لنا مثلًا بالعلاقة بين المكي والمدني التي يطبعها منهج الكليات، فالقواعد الكلية نزلت بمكة، وهي أصول كلية عامة، لما سيتبعها نزولًا في المدينة، والتي ستكون جزءًا منها، أو مكملة لها. وهذا نظر شمولي داخل النص؛ إذ لولاه يصعب الحفاظ على مقصود الشارع الذي استشفافه ومقاربته، لن تتحقق بالفهم التجزيئي للنصوص، ولا بالفهم الكلي لها، بل تتأكد فقط بالجمع بينهما.

هكذا يؤسس الشاطبي القواعد المنهجية التي يمكن أن تتبعها الدراسات العلمية الهادفة، التي تبني موضوعاتها بلَم جميع أطرافها، مع فهم الجزئي في سياق الكلي، والنظر الكلي الذي يصل الأجزاء ببعضها البعض. والنتيجة هي صورة شمسية واضحة المعالم لموضوع

(١) وهي سبعة: التناسب في ترتيب سور القرآن، بيان أن كل سورة تشرح ما أجمل في التي قبلها، تعلق مستهل كل سورة بخاتمة التي قبلها، تناسب مطلع السورة لمقصدها، تناسب أوائل السورة لأواخرها، مناسبة ترتيب آيات كل سورة، تناسب موضوع السورة مع اسمها.

(٢) رحماني، **جهد الشاطبي في التفسير الموضوعي الكشفي**، ص٥٢.

الدراسة[١].

يقول رحماني[٢]: إن عصر الشاطبي قد تميز بالاهتمام بالوحدة الموضوعية، وهي عند الشاطبي ثلاث وحدات: الوحدة في القرآن كله، الوحدة في السورة، والوحدة في النزول. وفيما يلي توضيحه:

١) الوحدة في القرآن كله: ويعني بها الشاطبي أن القرآن كلام واحد باعتبار مصدره، ولأن فهم بعض منه متوقف على فهم بعض آخر. وكل ما أشار له القرآن من الضروريات فمقيد بالحاجيات. وهذا هو أُس منهج التفسير الموضوعي التجميعي. وضرب له مثلًا بتفسير: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ من سورة الفاتحة بالآية ٦٩ من سورة النساء ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم﴾

٢) وحدة موضوع السورة: فكون كلام الله قسمه على مجموعة من السور، مفصولة عن بعضها البعض، بـ ﴿بِسمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ .يؤيد اختصاص كل واحدة بموضوع مغاير. ويقول عن سورة "المؤمنون": إنها قصة واحدة، في موضوع واحد، سواء كانت القضايا التي يدور حولها الكلام قضية واحدة، أو متعددة. ويمثل للنوع الأول بأغلب سور المفصل. ويمثل للنوع الثاني بسورة البقرة، وآل عمران، والنساء، واقرأ ... حتى ولو نزلت على فترات. وهذا صلب اهتمام التفسير الموضوعي الكشفي في عصرنا. كما قال رحماني[٣]، وهو ما أولاه الشاطبي اهتمامًا أكبر، واقترحه منهجًا بديلًا، للتفسير التحليلي الصرف.

٣) وحدة النزول: وهو ما يرمي له الشاطبي بالوحدة التي تنشأ عن وحدة المناسبة التي نزلت الآيات بخصوصها، ومثل لها بالآيات المتعلقة بحادثة الإفك.

مما سبق يبدو أن التفسير الموضوعي الكشفي كان سائدًا زمان الشاطبي؛ إذ لم تتم الإشارة إلى تعريفه بشكل منفرد؛ اللهم ما كان من تعريف لمنهجية دراسته وأقسامه، وتميز

(١) المرجع نفسه: ص٥٣، ٥٤.

(٢) المرجع نفسه: ص٥٤.

(٣) المرجع نفسه: ص٥٦، ٥٧.

بذكر وحدة النزول. كما أن الدراسات الأدبية حول النظرة الكلية للنص هي التي مهدت للشاطبي تطبيقها على النص القرآني. فتوسع وأبدع، في ربط الجزئي بالكلي؛ لئلا يضِل الباحث عن مقاصد القرآن. ولا شك أن جهد الشاطبي مما ساهم في بلورة فكرة التفسير الموضوعي.

ثانيًا: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، لزاهر بن عواض الألمعي:

يُقر د. الألمعي[1] في كتابه بصعوبة تحديد بداية ظهور التفسير الموضوعي، وذلك بالنظر للأسلوب الذي ينهجه في وقتنا الحاضر. أيضًا لظهور هذا المصطلح حديثًا. غير أن أصله موجود في كتاب الله. ويعتقد أن بعض المباحث الأصولية كالخاص والعام يمكن أن تندرج تحت مسمى التفسير الموضوعي. ومثّل له بعِدة المطلقة التي وردت الآيات بشأنها في مواضع شتى، حيث أفردت لكل حالة مدة عدتها[2].

وبالنسبة له[3]، فالتفسير الموضوعي عند الإطلاق يراد به أمران بينهما ارتباط من بعض الوجوه: **أما الأول:** فيتعلق بالأشباه والنظائر، **وأما الثاني:** فيتعلق بالموضوع الذي تجمع آياته المتعلقة به، سواء اشتركت معه لفظًا أو معنى، أو ارتبطت به ارتباطًا قويًّا ولو من بعض الوجوه. ومثل له بموضوع: "المرأة في القرآن" والذي يضم: الزواج، والطلاق، والحضانة، والميراث، و...

بهذا التقسيم، وبالأمثلة التي قدمها يكون الألمعي قد حكم على نشأة التفسير الموضوعي من القرآن نفسه. وأما تطوره، فمن خلال جهود علماء المسلمين، وذلك منذ العهد الأول إلى يومنا هذا.

(١) د.الألمعي، **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ص١٢-١٤.

(٢) (البقرة: ٢٢٨)، (الأحزاب: ٤٩)، (الطلاق: ٤).

(٣) د. الألمعي، **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ص١٠، ١١.

ثالثًا: مباحث في التفسير الموضوعي، للدكتور مسلم:

حدد مصطفى مسلم[١] بداية ظهور مصطلح "التفسير الموضوعي"، وذلك في القرن الرابع عشر الهجري حينما أدخلته كلية أصول الدين كمادة تُدرس في جامعة الأزهر في قسم التفسير؛ بيد أنه لم يختلف مع سابقه؛ إذ يقرر أن لبنات هذا العلم كانت موجودة فترة التنزيل، ويتجلى ذلك كلما تتبعنا مجموعة من الآيات تتعلق بقضية ما ويشرح بعضها بعضًا.

ويوضح[٢] ذلك بقوله: إن هذا ما قام به النبي ﷺ عندما فسر الظلم بالشرك في جمعه بين الآية ٨٢ من سورة الأنعام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم﴾ ، والآية ١٣ من سورة لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ . وحينما فسر مفاتيح الغيب: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] بـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ٣٤﴾ [لقمان: ٣٤].

ويقول[٣]: هذا ما قام به الصحابة أيضًا كلما ظهر لشخص ما تعارض بين الآيات؛ نحو: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١]، و﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥﴾ [الطور: ٢٥]. وهناك أمثلة أخرى من الآيات التي ظاهرها التعارض، ذكرها البخاري[٤] في **صحيحه**.

وأضاف د. مسلم[٥] قائلًا: إن العلماء تبعوهم حينما وضعوا قاعدة أصولية في التفسير تنص على ضرورة الرجوع للقرآن، للجمع بين الآيات التي أجملت في موضع،

(١) د. مسلم، مصطفى، **مباحث في التفسير الموضوعي**، (دمشق: دار القلم، ط٣، ٢٠٠٠)، ص١٢.

(٢) المرجع نفسه: ص١٧-١٩.

(٣) المرجع نفسه: ص١٩.

(٤) البخاري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، (د.م: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، ج٦، ص١٢٧، رقم (٤٨١٥)، كتاب "تفسير القرآن"، باب قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾ [الزمر: ٦٨].

(٥)د. مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ص١٩.

وفصلت في آخر؛ على سبيل المثال: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [النحل: ١١٨] إذ فهمها متوقف على فهم ما نزل قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

ويشير[١] أيضًا إلى عمل الفقهاء الذين جمعوا الآيات المتعلقة بموضوع واحد، فاستنبطوا الأحكام منها مثل: كتاب الطهارة الذي يضم كل ما يتعلق بالوضوء والتيمم، وكتاب الصلاة ...، وكتاب الزكاة ... حيث ظهرت كتب أحكام القرآن للجصاص (٣٧٠هـ) الحنفي، وإلكيا الهراسي (٥٠٤هـ) الشافعي، ولابن العربي (٥٤٣هـ) المالكي.

وفي نفس الفترة من القرن الثاني للهجرة يقول د. مسلم[٢]: أخذت هذه الدراسات الموضوعية اتجاهًا لغويًّا؛ فألف مقاتل بن سليمان البلخي (١٥٠هـ) كتاب "**الأشباه والنظائر**" استقصى فيه الكلمات القرآنية المتحدة لفظًا، والمختلفة دلالة. وتبعه من بعده يحيى بن سلام (٢٠٠هـ)، والدامغاني (٤٧٨هـ)، وابن الجوزي (٥٩٨هـ) ...

ويقول[٣]: إلى جانب الاهتمام بالكلمة القرآنية ظهر الاهتمام بالآيات التي يربطها رباط واحد نحو: الناسخ والمنسوخ، الذي ألف حوله ابن سلام (٢٢٤هـ) كتابًا، وألف في أسباب النزول علي بن المديني (٢٣٤هـ). كما أفردت أمثال القرآن بالتأليف. وهذا ما فعله الماوردي (٤٥٠هـ)، ومجاز القرآن للعز بن عبد السلام (٦٦٠هـ)، وأقسام القرآن لابن القيم (٧٥١هـ).

ثم يعقب[٤]: لم ينقطع التأليف في المواضيع القرآنية، بل توالى مسايرًا المذاهب التي

(١) المرجع نفسه: ص١٩ و٢١.
(٢) المرجع نفسه: ص٢٠.
(٣) المرجع نفسه: ص٢١.
(٤) المرجع نفسه: ص٢١، ٢٢.

ظهرت، والتي تمس الحياة الإنسانية؛ فمنها ما تعلق بالمرأة، أو بالأخلاق، أو بالكون ... وهي مواضيع يتجدد النظر فيها كلما طرأ عليها تغيير في المجتمع أو إضافة؛ ابتغاء التماس هدايات القرآن وإرشاداته.

وأشار مسلم[١] للمستشرقين "جول لابوم" (Jules La Beaume)، و"إدوارد مونتيه" (Edward Montier). **فالأول** ألَّف كتاب "**تفصيل آيات القرآن الكريم**"، وقام بمحاولة توزيع آيات القرآن على ثمانية عشر بابًا، واستدرك عليه الثاني. وترجم الكل/ مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي. وكانت هذه الخطوة –رغم ما أخذ على الكتاب– على أهمية كبيرة؛ لما تميزت به من لمٍّ للمواضيع القرآنية.

هذا الخبير الفرنسي "جول لابوم" قال:

أيها الناس، دققوا في القرآن حتى تظهر لكم حقائقه، فكل هذه العلوم والفنون التي اكتسبها العرب، وكل صروح المعرفة التي شيدوها، إنما أساسها القرآن. ينبغي على أهل الأرض على اختلاف ألوانهم ولغاتهم أن ينظروا بعين الإنصاف إلى ماضي العالم، ويطالعوا صحيفة العلوم والمعارف قبل الإسلام، ويتعرفوا بأن العلم والمعرفة لم تنتقل إلى أهل الأرض إلا عبر المسلمين الذين استوحوا هذه العلوم والمعارف من القرآن، كأنه بحر من المعارف تتفرع منه الأنهار، القرآن لا يزال حيًّا، وكل فرد قادر على أن يستقي منه حسب إدراكه واستعداده[٢].

مما سبق، يبدو أن البحث عن الروابط التي تصل أجزاء القرآن بعضها ببعض لم تتوقف منذ فترة التنزيل؛ وإن كان الانتقال من البحث في الأشباه والنظائر إلى البحث في المناسبات – وهي دراسة أعمق من التي سبقتها– أخذ وقتًا طويلًا. نفس الأمر، بالنسبة للوقت الذي احتاجه التفسير الموضوعي حتى يظهر في حلته العصرية.

(١) المرجع نفسه: ص٢٢.

(١)عن موقع طريق الإسلام، بتاريخ ٢٠١٣/٠٦/١٣ http://iswy.co/evjsv

رابعًا: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، للدكتور الكومي والدكتور القاسم:

لا يختلف كثيرًا ما جاء به الكومي[١] حول نشأة التفسير الموضوعي، عما ورد في الفقرات السابقة. فقط، هو لم يتوسع في التفاصيل.

وختم القاسم[٢] الكتاب بِحثٍّ علمائنا على العناية بهذا النوع من التفسير؛ لينير الطريق أمام الناس، لعلهم يهتدوا إلى سبل السلام، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

خامسًا: المدخل إلى التفسير الموضوعي، للدكتور سعيد:

ما قاله عبد الستار سعيد (**١٩٣١م**) عن نشأة التفسير الموضوعي وتطوره، لا يختلف كثيرًا عما ذكره مصطفى مسلم؛ فبدوره يعتبر عددًا من مباحث علوم القرآن ممهدات للتفسير الموضوعي في عصرنا. وحتى يميز بينها وبين ما تعارف عليه في عصرنا تحت مسمى: التفسير الموضوعي نجده يسميه: ضرب من التفسير الموضوعي الموجز، أو التفسير الموضوعي العام، نحو: آيات الأحكام التي يربط بينها، كون كل واحدة منها تعبر عن حكم شرعي، دون أن تربطها وحدة في المعنى، بل فقط في الغاية كآيات الصلاة، وآيات الربا. ثم يستبدل لفظ "العام" بـ"الخاص" ليكون التفسير الموضوعي الخاص؛ ذاك الذي تتحد أفراده معنى وغاية[٣].

(١) الكومي، **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ص٢٠، ٢١.

(٢) القاسم، مُحَمَّد أحمد يوسف، **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، (د.م، د.ن، ط١، ١٩٨٢)، ص١٦٧.

(٣) د. سعيد، عبد الستار فتح الله، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، ص٢٨-٣٣.

ويخرج[١] من التفسير الموضوعي بشقيه العام والخاص تلك الأبحاث التي تدخل تحت غطاء علوم القرآن، والتي لم يرد بشأنها أية آية نحو: مواضيع الإعجاز القرآني، والمناسبات بين الآي والسور، خاصة أن منهج البحث فيها مختلف عنه في التفسير الموضوعي.

وهكذا، يتطور التفسير الموضوعي عنده[٢] من العام إلى الخاص، ليتجه نحو الاكتمال، وذلك بلم الآيات التي تصب في موضوع واحد، فيؤثرها بالعناية والدرس، مبرزًا كمال القرآن العظيم، خاصة إذا صُنفت سائر الآيات حسب موضوعاتها ...

الخلاصة:

من كل ما سبق ذكره يبدو وكأن الإجماع معقود على قدم التفسير الموضوعي، وأن باكورة التفسير الموضوعي تزامنت مع استهلال التفسير عمومًا؛ فالقرآن نفسه أحال آيات على آيات حتى يكتمل فهمها. وهناك من المواضيع القرآنية التي بُثت أطرافها في مواضع مختلفة نحو: عدة المطلقة، والتي تختلف أحكامها حسب سنها وحالتها، حيث اقتضت حكمة الله تعالى أن تتوزع هذه الأحكام على ثلاث سور متباعدة في ترتيب المصحف الشريف.

وما قام به بعض العلماء من جمع للآيات المتعلقة ببعض فروع علوم القرآن نحو: الناسخ والمنسوخ، والوجوه والنظائر، تعد أيضًا من بوادر التفكير في التفسير الموضوعي.

غير أن ما سار عليه الفقه من تقسيمات لمواضيعه كان حريًّا أن يُحتذى به في التعامل مع كتاب الله، وتصنيف آياته حسب موضوعاتها، مما كان من شأنه أن يعمق البحث حول مقاصده، وأن يُسرع بظهور العلوم التي سخرها الله تعالى لعباده، واستخراج ما شاء الله من كنوزه.

أمَّا المنهج الذي يسير عليه التفسير الموضوعي حاليًا، والأهداف التي يسعى إلى

(١) المرجع نفسه: ص٣٢، ٣٣.

(٢) المرجع نفسه: ص٣٣.

بلوغها، والقضايا التي يحاول معالجتها باللجوء إلى القرآن الكريم، والتدبر في مقاصده، ومنهاجه الذي تعاطى به مع هذا الموضوع، لا يمكن أن نختلف على أنه جديد في رؤيته ورسالته.

فما الذي جعل نجم "التفسير الموضوعي" يصعد في العقود الأخيرة؟ وهل حقًّا المستقبل للتفسير الموضوعي في القادم من الأيام؟ هذا ما سيجيب عنه المبحث الآتي.

المبحث الرابع

الحاجة إلى التفسير الموضوعي

انطلق التفسير من المأثور عن رسول الله ﷺ، ثم مما فهمه الصحابة ومن تبعهم، ثم ما لبث أن تطور من الاقتصار على تفسير بعضه إلى تفسير كله. ولم يقف الأمر هنا بل ظهرت علوم للقرآن الكريم.

هكذا تطور التعامل مع كتاب الله تعالى في القرون الأولى للهجرة. لكنه ما لبث أن عرف بعض الاستقرار في تفسيره؛ وذلك لغاية ظهور فكرة الشاطبي في القرن الثامن حول تطبيق النظرة الكلية للنص على القرآن الكريم. وإلى عقود قليلة مضت عرف التفسير منعطفًا في منهجه، وذلك بظهور مصطلح "التفسير الموضوعي"، والإقبال عليه من أهل التفسير، وكثر الكلام حوله في المؤتمرات، وعلى صفحات المجلات، وعلى المواقع الإلكترونية. كما ظهرت نماذج من الكتب حوله، إضافة إلى العديد من التوصيات التي تدفع بمنحى التفسير في اتجاه التفسير الموضوعي. ولمزيد من التوضيح، هذه بعض التوصيات حول المسألة:

أولًا: دعوة الدكتور حجازي لأن يكون التفسير الموضوعي تفسير هذا العصر:

هذا ما قاله تلميذه ثم زميله أحمد عباس البدوي[(١)] في مقالته المعنونة "**جهود الشيخ مُحَمَّد محمود حجازي في التفسير الموضوعي**" والذي منذ بداية خمسينيات القرن الماضي بنى بحثه حول التفسير الموضوعي على أربع دعائم، وهي كالآتي:

١) الدعامة الأولى: تكرار الموضوع الواحد في القرآن الكريم.

٢) الدعامة الثانية: عدم تمام الموضوع في السورة.

٣) الدعامة الثالثة: لا تتم الوحدة الموضوعية للقضية، إلا بعد جمع أطرافها من جميع السور التي تعرضت لها.

٤) الدعامة الرابعة: عدم كمال الوحدة الموضوعية لكل سورة ذكر فيها الموضوع.

(١) البدوي، أحمد عباس، سنة النشر ٢٠١٠، ص١٦، و٢٣، و٢٦، موقع تفسير المكتبة القرآنية https://library.tafsir.net/book/٦٧٧٠

ويؤكد على ضرورة اهتمام الطلاب المتخصصين بهذا النوع من التفسير. ويعتبر تعدد الموضوع الواحد في المواضع المختلفة، مع الحفاظ على الوحدة الموضوعية لون من ألوان الإعجاز القرآني. به يتحقيق المنهج الموضوعي للقرآن الكريم في أداء رسالته العالمية، وبه تتم مراعاة الفوارق الفردانية في القديم وفي أي زمان.

ثانيًا: د. الكومي: القرآن يرشد الناس للبحث عن أسرار الكون:

قال الكومي: إن كتاب الله «إذ يرشد الناس إلى طريق البحث عن أسرار الكون والكشف عن غامض هذا الوجود، لا بد أن يكشف لهم عن نوافذ ذلك السر حتى يتسرب منها أشعة ضوئها، تستهدي بها نفوسهم، وتشرئب لها أعناق نفر منهم، فتسترعي عقولهم إلى السير في تلك الجادة حتى تكشف ما أودع في تلك الخلائق من قوى تظهر بمرور الأيام، وينتفعون بخلقها وثمارها على مدى الأزمان والأعوام»[(١)].

أجل؛ فغالبية الثمار التي ينتفع العالم بها اليوم هي من جهود الغربيين، فلو تأملنا أكثر في كتاب ربنا، كل ينطلق من اختصاصه، فالفيزيائي يتدبر القرآن بعين فيزيائية. نفس الأمر مع أصحاب علوم الحياة والأرض. وأيضًا مع علماء التربية، وخبراء علم العمران، والسنن التاريخي، وعلماء النفس والاجتماع ... لربما كانت مكانتنا العلمية في الأوساط العالمية أرقى مما عليه الآن. ولربما كانت مراجع الباحثين من طلابهم بعناوين عربية، وكانوا يحجون إلى جامعاتنا لاستكمال دراساتهم العليا، ولكانت جامعة القرويين وكأنها "هارفارد" المغربية. ولأجل تحقيق هذه النهضة يمكن التعويل على التفسير الموضوعي والوثوق بمنهجه.

ثالثًا: الشيخ الغزالي، وتنبؤه بأن المستقبل للتفسير الموضوعي:

يؤكد الغزالي في مقدمة كتابه "**نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**" حاجة الدراسات القرآنية للتفسير الموضوعي، التي قد يكون المستقبل لها في المقبل من الأيام. وكأنه يجيب عن سؤاله السابق: «فلو سأل سائل: أين وحي الله في هذا العصر؟ لما كانت الإشارة

(١) الكومي، **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، ص٢٥، ٢٦.

إلا إلى القرآن ...»[١].

رابعًا: د. سعيد: التفسير الموضوعي الجامع وسيلة الدعاة لإقامة الأمة على منهاج القرآن:

وجه عبد الستار سعيد[٢] الدعوة للمختصين بمتابعة الجهود في هذا الباب، حتى يستوي الزرع على سوقه، فيصل التفسير الموضوعي إلى منتهاه؛ إذ يقترح تفسيرًا موضوعيًّا جامعًا لكل موضوعات القرآن الكريم تزدان به المكتبات، ويلبي حاجة الدعوة الإسلامية من الناحيتين: العلمية والعملية.

خامسًا: د. الدقور، وأهمية التفسير الموضوعي:

أجمل الدقور[٣] في مقاله "**التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج**" هذه الأهمية، في النقاط التالية:

أ- يشكل التفسير الموضوعي عاملًا مهمًّا في رسم الحلول لمشكلات المسلمين المعاصرين.

ب- يستخرج المقاصد القرآنية ويبرزها.

ج- يسلط الضوء على نتائج التدبر في كتاب الله.

د- يلبي حاجة الناس في المستجدات العصرية.

هـ- الرفع من مستوى التفكير العلمي الموضوعي.

و- يعزز الإقبال على القرآن الكريم.

ز- يعطي فرصة لعلماء المسلمين لتأصيل العلوم الإنسانية والطبيعية والحضارية.

---

(١) الغزالي، مُحَمَّد، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، (د.م: دار الشروق، ط٤، ٢٠٠٠)، ص٥، ٦.

(٢) سعيد، **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، ص٩، ١٠.

(٣) الدقور، مقال تحت عنوان: **التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج**، مجلة "دراسات"، المجلد ٤١، العدد ١، ٢٠١٤، ص١١٤، ١١٥، https://journals.ju.edu.jo/DirasatLaw/article/viewFile/٢٦٣٨/٤١٢٤

ح– غلق أبواب الفتن التي يفتحها أولئك الذين يدعون أن موضوعات القرآن غير مترابطة.

ط– معارضة الأقوال التي تدعي التعارض بين بعض الآيات، أو بينها وبين بعض الآثار.

خلاصة:

لقد اتضح تمام الوضوح –بعد كل ما ذُكر حول التفسير الموضوعي– مدى الحاجة إليه؛ نظرًا لما قد يوفره من حلول لكل ما يطرأ على المجتمع، بغض النظر عن المجال الذي يقع فيه التغيير. هذا لا يعني ألبتة أننا سنجد هذه الحلول منصوصًا عليها بالحرف الواحد في كتاب الله، أو السنة النبوية. فهذا ديدن الوحيين، فيما يتعلق بالعبادات الصرفة. فمن أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رَدٌّ. أما فيما يتعلق بالباقي من شئون الحياة فأنتم أدرى بشئون دنياكم. غير أن الله تعالى لم يترك عباده هملًا؛ بل بث في كلماته مجموعة من الآيات العلامات التي هي بمثابة الأركان والخطوط العريضة، لينطلق منها الباحث، إن كانت بمثابة أرضية، أو يصل إليها إن كانت بمثابة أهداف ومقاصد. ثم يؤثث ما بين هذه الأركان، والخطوط العريضة المختصون، كل حسب مجاله، أو مجموعة من الخبراء إن كان الموضوع متشعبًا.

فالأهمية التي يكتسبها التفسير الموضوعي تعود إلى الحاجة إليه، والتي بدورها تنبعث من ضرورة التجديد في الدين الذي يقوم على التجديد في تفسير نصوصه، فالعقيدة تبلى شيئًا فشيئًا حتى تتشوه. وكي تنصلح هذه الصورة لا بد أن يلمس الإنسان العادي ارتباط هذه النصوص بواقعه، ويتأكد من قدرتها على حل مشاكله. هكذا سيتحول سلوك الإنسان من عادات إلى عبادات، تمامًا كما كان عليه زمن الرعيل الأول، وليس كما هو عليه الحال الآن.

كما يمنح للباحث فرصة التقاط الإشارات القرآنية، واستخراج نفائسه وكنوزه، والإحاطة ولو جزئيًّا إما بحلول أومأ لها الوحيان لكل ما استجد من قضايا عصرية، أو

بهدايات تتعلق بالاكتشافات العلمية، أو ...

إذ لم يكن السبق للمسلمين، ومن خلال ألوان التفاسير السابقة للتوصل لأي من الاكتشافات العلمية الحديثة، ولا حتى فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية –فالمسلمون لم يحققوا – انطلاقًا من المؤلفات في التفسير– أي تقدم يذكر؛ لا على مستوى الاستقرار الأسري، ولا على مستوى السعادة والراحة النفسية. علمًا أن الدين إنما جاء لإسعاد البشرية جمعاء؛ ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١، ٢] ولا على مستوى السلوك والأخلاق.

رغم أن ثلث القرآن أخلاق وقيم، ورغم أن نبينا عليه ألف صلاة وسلام، كان قرآنًا يمشي، فلم نحقق الكثير على مستوى محاربة الفقر، والأمية، والهشاشة الاجتماعية؛ رغم منظومة الإنفاق التي جاء بها القرآن، سواء تعلق الأمر بالزكاة التي هي أحد أركان الإسلام، أو كثرة الآيات التي حثت على البذل، أو ما جاء في السنة بعدم الوقوف في العطاء عند الزكاة المفروضة، بل في المال حق دون الزكاة ...

فكل الإحصاءات تشير إلى ترتيبنا، من حيث النتائج، في الدرك الأسفل، سواء تعلق الأمر بمخرجات التعليم والتعلم، أو بمؤشر التنمية البشرية، أو حقوق الإنسان، أو .... فلِما لا يأخذ الباحثون في التفسير على عاتقهم قضايا المجتمع؟ ويعرضونها على الكتاب والسنة، ثم يطلعوا علينا، بحلول أو مشاريع حلول منبثقة من عمق ديننا الحنيف.

المقترحات:

- إضفاء عناية أكبر على تدريس التفسير الموضوعي في الشعب الجامعية المختصة؛ لإظهار الإعجاز القرآني.
- تشجيع الطلاب على البحث في هذا مجال؛ بحثًا عن الأسرار والهدايات، لأجل فرد قوي، ومجتمع صلب متماسك ومتقدم.
- وقبل هذا، تخصيص محور لتطوير مناهج التفسير ضمن مادة التفسير وعلومه، وضمنه أيضًا محور للإعجاز العلمي، لعله بحصول نوع من التراكم المعرفي ينكشف المغلق من الفهم.
- توفير الأطر الكفيلة بالإشراف على مثل هذه البحوث.
- التنويع في معاجم مواضيع القرآن الكريم، ومنهجه في عرضها، والروابط التي قد تجمعها من بعض الوجوه؛ كالتكامل فيما بينها، أو احتياج الواحدة منها للأخرى، أو توقفها عليها ...
- الاعتناء بالمقاصد القرآنية العامة لكل سورة، والمقاصد الخاصة بكل موضوع من موضوعاتها، خاصة تلك المتعلقة بالأمور الدنيوية، الغير تشريعية، وبيان نوع العلاقة بينهما، وبين مواضيع كل سورة.
- آن الأوان للنظر فيما وراء الآيات الكونية؛ وذلك بالبحث بمنهاج التفسير الموضوعي، فآيات الأحكام أخذت حظها من الدرس والبحث نحو إعمال الفكر في كيفية تسخير السماوات والأرض للإنسان، ومزج التفسير بآخر التطورات العلمية المؤكدة.
- كما آن الأوان للأفراد أن يرتقوا في اهتماماتهم اليومية، وذلك عن طريق طرح أسئلة.تتعلق بالآيات ذات الحمولة العلمية، والتي من شأنها الدفع بالمختصين نحو مزيد من التنقيب، كما كان شأنهم في التعامل مع النصوص الفقهية، فتطور الفقه حتى وصل مرحلة النضج، فمتى ينضج التفسير؟

الخاتمـــة

في كلمة واحدة يمكن تعريف "التفسير الموضوعي": إنه دراسة لموضوع ما، تتعلق بالكشف عن خباياه، ويُتوخى معرفة طريقة القرآن في التعاطي معه، سواء انطلقنا من القرآن لنعود إلى المجتمع، أو انطلقنا من حاجات الناس وبحثنا عن سبل تلبيتها في قلب النصوص الدينية. ثم رجعنا إليهم بمقترحات قرآنية تراعي ظروف العصر، وتستعين بالتقدم المعرفي الإنساني.

إن واقع حال المسلمين ينطق بضرورة التغيير. والمنهج الذي سار عليه التفسير إلى يومنا.لم يساعد على الخروج من التخلف الذي تعاني منه الأمة، فكان لزامًا تطوير المنهج الذي يسير عليه التفسير، وتطوير المنهج يبدأ من تحديد جوانب القصور والضعف في المناهج التي سلكها سابقًا. وهذا من بين ما يروم له هذا البحث، كما البحوث التي تنشر في العقود الأخيرة.

يأتي بعد هذه الخطوة طرح مناهج بديلة؛ من بينها: منهج التفسير الموضوعي الذي يقتصر على تفسير الآيات المتعلقة بالموضوع قيد الدرس، سواء التي ذكرته لفظًا أو إشارة، والبحث عن الروابط بينها، وعن الغايات التي لأجلها عرضها القرآن الكريم، وربطها بالواقع، مع الاستفادة من التطور الحاصل في العلوم الدنيوية.

كذلك تطوير منهج التفسير في السورة الواحدة، وذلك بالبحث عن محورها الأساسي الذي يدور حوله مواضيعها. وما هي نقط الالتقاء بينها، إن وجدت؟ وكيف تخدم دراسة هذه المواضيع الغاية الكبرى للسورة؟

لا شك أنه عمل جبار ينبئ بولادة موسوعات جديدة في التفسير، ويفضل التعامل معه بشكل جماعي، وذلك من خلال منهج استقرائي يتتبع أطراف الموضوع في القرآن الكريم. وكل ما يُطعم فهمه، سواء في السنة النبوية، أو في سنة الخلفاء الراشدين، أو من العلوم الإنسانية، والكونية الحديثة. ثم ينظر المفسر في كل ما تم جمعه نظرة شمولية كلية، إما لأجل تفسير ظواهر قديمة قد تتعلق بالإنسان أو بالكون، أو استشرافًا لظواهر كونية، أو إنسانية، يمكن أن تكون في خدمة الإعجاز القرآني وفي خدمة الدعوة الإسلامية.

وفيما يتعلق بالكلمات القرآنية يمكن الإشارة إلى أن منها ما يصلح أن يشكل مادة للتفسير الموضوعي مثل: "الله"، "الرب"، "الإنفاق"، "العفو"، "البشرى" ... كما أن هناك كلمات يصعب أن تكون محلًّا للتفسير الموضوعي مثل: "النفاثات".

وأخيرًا؛ فإن مجال التفسير الموضوعي يتسم بالتنوع الغير محدود، مثله مثل الاجتهاد الفقهي تمامًا، فما دامت الحياة تتطور وتتغير جاز الدوام للتفسير الموضوعي. هكذا يكون البحث قد أجاب عن التساؤلات التي كانت وراء تحريره، والذي أبرز جيدًا عدم قدرة التفسير في حلته القديمة عن الوفاء بحاجات الناس التي وعد المولى عز وجل باستيفائها، وبجعله القرآن آخر كلماته للناس أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر والمراجع

١	القرآن الكريم، ١٤٣٣هـ، **مصحف التجويد**، رواية حفص عن عاصم، ط٩، دمشق: مطبعة الثريا.
٢	الألمعي، زاهر بن عواض، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م)، **دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، (ط٤)، ط١، بتاريخ: ١٤٠٤هـ، الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
٣	البخاري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل الجعفي، (١٤٢٢هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، (ط١)، د.م: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية، بإضافة ترقيم/ مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي).
٤	الترمذي، أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى، (١٩٩٨م)، **الجامع الكبير– سنن الترمذي**، (د.ط)، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٥	الجرجاني، علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، **معجم التعريفات**، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية.
٦	ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، (د.ت)، **الخصائص**، (ط٤)، د.م: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٧	ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن القرشي، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، (ط٣)، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
٨	الحاكم، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله النيسابوري، المعروف بابن البيع، (١٤١١هـ-١٩٩٠م)، **المستدرك على الصحيحين**، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية.
٩	الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، **تعريف الدارسين**

	بمناهج المفسرين، (ط٣)، دمشق: دار القلم.
١٠	أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، (د.ت)، **سنن أبي داود،** (د.ط)، بيروت: المكتبة العصرية، صيدا.
١١	الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، **سير أعلام النبلاء،** (ط٣)، د.م: مؤسسة الرسالة.
١٢	الذهبي، مُحَمَّد السيد حسين، (د.ت)، **التفسير والمفسرون،** (د.ط)، القاهرة: مكتبة وهبة.
١٣	الراغب، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد الأصفهاني، (د.ت)، **المفردات في غريب القرآن،** (د.ط)، د.م: مكتبة نزار مصطفى الباز.
١٤	الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (١٤١٨هـ)، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج،** (ط٢)، دمشق: دار الفكر المعاصر.
١٥	الزرقاني، مُحَمَّد عبد العظيم، (د.ت)، **مناهل العرفان في علوم القرآن،** (ط٣)، د.م: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
١٦	الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر، (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، **البرهان في علوم القرآن،** (ط١)، لبنان: دار إحياء الكتب العربية.
١٧	سعيد، عبد الستار فتح الله، (١٤١١هـ/١٩٩١م)، **المدخل إلى التفسير الموضوعي،** (ط٢)، القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية.
١٨	السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، **الإكليل في استنباط التنزيل،** (د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٩	الصدر (١٩٨٠م)، مُحَمَّد باقر، **المدرسة القرآنية،** ط٢، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، مطبعة ستار، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، د.م.
٢٠	الصدر، مُحَمَّد باقر، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، **السنن التاريخية في القرآن،**

	(د.ط)، المنشية: دار التعارف للمطبوعات.
٢١	الطبري، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (ط١)، د.م: مؤسسة الرسالة.
٢٢	ابن عباس، عبد الله، (د.ت)، **تفسيره** المنسوب إليه، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، جمعه الفيروزآبادي، موجود على مكتبة الشاملة، (د.ط)، لبنان: دار الكتب العلمية.
٢٣	عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، (د.ت)، **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، (د.ط)، الدار البيضاء: دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٤	عثمان، بشير، (٢٠١٣-٢٠١٤م)، **مادة التفسير الموضوعي**، د.ط، الجمهورية الجزائرية: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية أصول الدين.
٢٥	الغزالي، أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطوسي، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، **جواهر القرآن**، (ط٢)، بيروت: دار إحياء العلوم.
٢٦	الغزالي، مُحَمَّد، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**، (ط٤)، د.م: دار الشروق.
٢٧	ابن فارس، أبو الحسين أحمد القزويني الرازي، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، **معجم مقاييس اللغة**، (د.ط)، د.م: دار الفكر.
٢٨	الفراهي، عبد الحميد، (٢٠٠٢م)، **مفردات القرآن**؛ نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، (ط١)، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٢٩	الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، (د.ت)، **العين**، (د.ط)، د.م: دار ومكتبة الهلال.
٣٠	الكومي، أحمد السيد، [من ص٣-٣٣ ومن ص٦٥-٧٩]، والقاسم، مُحَمَّد أحمد يوسف، [من ص٤٥-٦٤ ومن ص٨٠ إلى آخر الكتاب]،

	(١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، (ط١)، د.م.، د.ن.
٣١	الماتردي، أبو منصور مُحَمَّد بن مُحَمَّد، **تفسير الماتردي [تأويلات أهل السنة]**، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية.
٣٢	مختار، أحمد عبد الحميد عمر، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصر**، (ط١)، د.م: عالم الكتب.
٣٣	مسلم، مصطفى، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، **مباحث في التفسير الموضوعي**، (ط٣)، دمشق: دار القلم.
٣٤	ابن منظور، أبو الفضل مُحَمَّد بن مُكَرّم جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (١٤١٤هـ)، **لسان العرب**، (ط٣)، بيروت: دار صادر.
٣٥	أبو نُعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، (د.ط)، مصر: السعادة، بجوار محطة مصر.
٣٦	نويهض، عادل، (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، **المفسرون من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر**، (ط٣)، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.
٣٧	ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي الحموي، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، **معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، (ط١)، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

المراجع الإلكترونية

١	البدوي، أحمد عباس، "**جهود الشيخ مُحَمَّد محمود حجازي في التفسير الموضوعي**" سنة النشر ٢٠١٠م، موقع تفسير المكتبة القرآنية، https://library.tafsir.net/book/٦٧٧٠
٢	الدقور، سليمان، "**التفسير الموضوعي إشكالية المفهوم والمنهج**"، مجلة

	"دراسات"، المجلد ٤١، العدد ١، ٢٠١٤م، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، https://journals.ju.edu.jo/DirasatLaw/article/viewFile/٢٦٣٨/٤١٢ ٤
٣	رحماني، أحمد عثمان، "**جهد الشاطبي (٧٩٠هـ) في التفسير الموضوعي الكشفي**"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، إسلامية فكرية محكمة، العدد ٢٧، يونيو ٢٠٠٤م، بالإمارات العربية، دبي. http://www.library.tafsir.net/book/٥٠١٥